

دراسة ميدانية للأعمدة وتيجانها في بيوت مدينة الموصل ابان العصر العثماني
(نماذج منتخبة)

**A Field Study of Columns and their Crowns in the houses of Mosul
City during the Ottoman Period Selected Models**

أ.م.د/ رنا وعد الله مهدي

استاذ مساعد كلية الآثار - الاختصاص العام اثار اسلامي - الاختصاص الدقيق عمارة اسلامية - جامعة
الموصل

Assist.Prof. Dr /Rana Waad Allah Mahdi

Assistant Professor, College of Archeology - general specialty Islamic
archeology - specific specialty Islamic architecture - University of Mosul

rana_waadallah@uomosul.edu.iq

الباحثة / رسل جاسم محمد

باحث حر في الآثار الإسلامية

Researcher/Rusul Jassim Muhammad

Freelance researcher in Islamic antiquities

roshjasem@gmail.com

الملخص

تعد الأعمدة والتيجان من أهم مكونات عمارة الموصل العثمانية، ولها وظيفة جمالية وأهمية عمرارية وبيئية وإنشائية. أخذت فكرة الأعمدة والتيجان من الحضارات القديمة السابقة، ثم استخدمت في القصور والمعابد والبيوت وكان من إبداع عراقي أصيل. فهي أحد مظاهر نشأة العمارة وتطورها في العراق. ولهذا استمر استخدامها في العمارة الإسلامية، كما في دور الأمانة والبيوت والقصور في العراق، لقرون عديدة. حتى بلغ أوج استخدامها في العصر العثماني، وأصبحت سمة من سمات عمارته في ذلك الوقت، ولاسيما في المباني الخدمية والدينية والسكنية والتعليمية. وبما أن الموصل تعرضت للعديد من الأزمات السياسية والعسكرية أدى ذلك إلى هدم واندثار الكثير من المعالم التاريخية والتراثية الأصيلة بالإضافة إلى سوء تعامل أصحاب تلك المباني مع هذه العناصر العمرارية العريقة والتي تعتبر من القيم الفنية والجمالية والتاريخية التي ابتدع فيها المعمار الموصلية ومن هنا جاء اختيارنا لهذا البحث للتعرف على أهم ما بقي من أنواع الأعمدة وتيجانها والمواد البنائية المستخدمة في إنشائها والعائدة للعصر العثماني. وفيما يخص منهجية إعداد البحث، فقد اعتمد فيها وبالدرجة الأساسية على جانب ميداني تطبيقي، كمصدر أساسي من مصادر معلوماته، وتمثلت الدراسة التطبيقية بتوثيق الأعمدة والتيجان في مختلف الدور القديمة عن طريق التصوير الفوتوغرافي.

الكلمات المفتاحية

عمود ، تاج، عمارة اسلامية

Abstract

Columns and capitals are among the most important components of the Ottoman architecture of Mosul, and they have an aesthetic function and architectural,

environmental and structural importance. The idea of columns and capitals was taken from previous ancient civilizations, then used in palaces, temples and houses and was an authentic Iraqi creativity. It is one of the manifestations of the emergence and development of architecture in Iraq. Therefore, its use continued in Islamic architecture, as in the emirates, houses and palaces in Iraq, for many centuries. Until it reached the peak of its use in the Ottoman era, and became a feature of its architecture at that time, especially in service, religious, residential and educational buildings. Since Mosul has been exposed to many political and military crises, this has led to the demolition and disappearance of many authentic historical and heritage landmarks, in addition to the poor treatment of the owners of these buildings with these ancient architectural elements, which are considered artistic, aesthetic and historical values that Mosul architecture has innovated. Hence, we chose this research to identify the most important remaining types of columns and their capitals and the building materials used in their construction dating back to the Ottoman era. As for the methodology of preparing the research, it relied primarily on an applied field aspect, as a primary source of its information, and the applied study was represented by documenting the columns and capitals in various ancient houses through photography.

Key words

Column, capital, Islamic architecture

أولاً: العمود

العمود اسم، وجمعه عمد. جاء لفظه في القرآن الكريم، بقوله تعالى ((اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا))⁽¹⁾. جاء في تفسيرها ان الله تعالى خلق السموات مرفوعة بلا عمد، اي لا نرى العمدة، وقيل ان العمود يجمع بأكثر من طريقه ك (عمود، اعمدة، عمد) وعمد الحائط يعمره عمدا⁽²⁾. وعمد الشيء فأعمد: اي بما معناه اقامته بعماد يعتمد عليه، والعمود معناها: الخشبة التي يقف عليها البيت والعمود العصا⁽³⁾. ووصف النابغة الذبياني مدينة تدمر: حيث قال: (وبينى تدمر بالصاح والعمد)، وقيل في العمد ايضاً (يأتي احدهم على بطنه)، وقيل: عمود بطنه ظهر، وهذا يعني ان عمود الامر: قوامه الذي يستقيم له والعمود هو الرئيس والسيد المقدر عليه في كل شيء⁽⁴⁾. العمود في تفسيره اللغوي الاستقامة في الشيء ممتداً او منتصباً، جمعه اعمدة سواء كان من الحجر او من الاجر او الخشب او جذوع النخل⁽⁵⁾، والقرآن الكريم الذي يعد المصدر الاساس الذي نستقي منه الاحكام والتعاليم واللغة والاصطلاح تعرض الى لفظ العمدة بصيغته الجمع في مواضع مختلفة كما في قوله تعالى (ارم ذات العماد)⁽⁶⁾. وقيل في العماد ذات الطول وقيل ذات البناء الرفيع المعمد وجمعه عمد، وربما تعني المباني شاهقة الارتفاع المقامة على الاعمدة، والمعروف في كلام العرب من العماد ما عمد به الخيام من الخشب والسوارى التي يحمل عليها البناء⁽⁷⁾. اما الاساطين فجاء تفسيرها بمعنى عمود، والسارية تعني العمود ايضاً واستعمالها واحد، فقط اللفظ يختلف فهي كلها روافع وحاملات للقعود والسقوف والقباب. اما التسميات التي اتخذها العمود في العمارة العربية الاسلامية فهي كثيرة. منها ما كان يطلق على العمارة

البغدادية باسم (الدك) واحياناً (تكمة) وهي في الغالب ذات مقطع مضلع او دائري تعلوها تيجان ذات زخارف نباتية وهندسية ومقرنصات ودلايات(8).

ثانياً: التاج

التاج والجمع اتواج وتيجان، والفعل تتويج. وقد توجه اذا عممه ويكون توجه: سوده. والمتوج: المسود، وكذلك المعصم. ويقال: توجه فتتوج اي البسه التاج فلبسه. الاكليل والعمامة: تاج على التشبيه. والعرب تسمى العمائم التاج. وفي الحديث: العمائم تيجان العرب، جمع تاج وهو ما يصاغ به للملوك من الذهب والجوهر، اراد ان العمائم للعرب بمنزلة التيجان للملوك لانهم اكثر ما يكونون في البوادي مكشوف في الرؤوس والعمائم فيهم قليلة. والاكاليل: تيجان ملوك العجم(9). وقد يزين التاج بأية قصيره او بقول مأثور او بيت شعر. لقد اعطى فن العمارة الاسلامية للتيجان اشكالا وزخارف منوعة مدهشه، اختلفت باختلاف المادة المصنوعة منها، او البلد المقامة فيه، وذلك الاهتمام واصالة الحضارة، اضافت الى الفن الانساني بشكل عام والعمارة بشكل خاص وروائع جديده تختلف باختلاف بيئنا عن كل ما سبق. فالتيجان الاسلامية المتأخرة، وحتى الكثير من المتقدم منها، يعد خلقا جديدا وابداعا انسانيا وعطاء حضاريا رائعا، ويكفي ان نشير الى نوع واحد فقط، ذلك الذي توسد المقرنصات ليجعل منها تيجانا، فجاءت على جانب رفيع جدا من الدقة في العمل والمهارة في الخلق والرفاهة في الذوق والاناقة في الشكل. وكانت التيجان على انواع متعددة منها المقرنصة والناقوسية(10). وكانت هذه التيجان على اختلاف انواعها تتصل ببعضها عند البداية بروابط خشبية، كما كان من المعتاد ان يضع المعمار المسلم فوق هذه التيجان طبال من الخشب تتكون كل منها من عدة طبقات تختلف اتجاهات الياها لسببين رئيسيين اولهما لضمان توزيع الحمل بجهد متساوٍ على سطح التاج، وثانيهما لإيجاد منسوب واحد لأرجل العقود نظراً لاختلاف ارتفاع الاعمدة التي كانت تجلب لهذا الاستخدام من اماكن مختلفة(11).

ثالثاً: الاعمدة والتيجان اصطلاحاً

وفي الاصطلاح، العمود ما يدعم به السقف او الجدار، واخذ العمود تسميات عدة، فهو عمود في المشرق، وساربه في المغرب، وشمعه في لبنان، واسطوان او اسطوانة على لسان بعض الكتاب، واعتمد المعمار القديم حزم القصب كأعمدة لتدعيم السقوف المبنية من الحصران ثم بعد ذلك استخدم الخشب في اسناد السقوف ثم بعد ذلك طور المعمار من المواد التي استخدمها لدعم السقوف(12)، وعلى الرغم من تعدد اشكال الاعمدة وتيجانها وقواعدها فهي لا تختلف في وظيفتها واماكن استخدامها ومادة انشائها، منذ اقدم العصور، حتى يومنا هذا. وكان كل عمود على هيئة اسطوانة خشب واحدة لها تاج مدور مصنوع من قطعة خشب واحدة. والتاج في الاصطلاح العماري قمة العمود والجزء الذي يتوجه. وهو يشكل الحالة الانتقالية من العمود الى الجزء الذي يعلوه(13). وغالباً ما يقع بين ارجل العقد من الاعلى وبدن العمود من الاسفل واهم وظائفه هو اضافة المزيد من الثبات للعمود(14) واما يكون بسيط او مزخرف باختلاف الطابع الفني لكل الطرز العمارية وبالرغم من ذلك فلم تنتقل تلك الطرز بحذافيرها في نفس الاقاليم فمثلا التيجان الفرعونية كانت مستوحاه من النباتات والازهار التي كانت منتشرة في وادي النيل لم تنتقل الى تيجان الاعمدة في مصر الاسلامية وكذلك الحال لدى الفرس الاخمينيون الذين كانت تيجان اعمدهم على شكل ثورين ولم تعمم في التيجان الاسلامية.

نشأة وتطور الأعمدة والتيجان

تعد الأعمدة من أبرز العناصر المعمارية وأكثرها أهمية في عمارة الأبنية العراقية القديمة، ويعد هذا العنصر أيضاً من الأجزاء التكوينية في البناء. حيث كانت البدايات الأولى لاستخدام الأعمدة تتمثل في البيوت المبنية من حزم القصب والبردي إذ يلاحظ استخدام الأعمدة لدعم السقوف الحصان وأسنادها، ومثلما كان للقصب دور في إبراز العمود يلاحظ أهمية مادة الخشب في إبراز هذا العنصر المعماري في أسناد سقوف الأبنية لقد تطورت قدرات المعمار عبر المراحل، ولاسيما بعد استخدام مواد إنشائية مختلفة لتشبيد الأبنية كاللبن والاجر، الأمر الذي أدى إلى التفنن في بناء الأعمدة بعد أن كان مقتصرًا على القصب والأخشاب. إن أقدم النماذج المكتشفة للأعمدة المستخدمة في المواقع القديمة، تم التنقيب عنها في موقع تل نمريك. تواصل استخدامها في العصور اللاحقة كالسومري إذ استخدمت كدعامات محلاة بمخاريط فخارية ملونه، وفي الطبقة الخامسة من الوركاء وجدت بنائه تقوم على صفيين من أعمدة ضخمة تدمج بالجدران عند التقائها فيها. أما في عصر حسونه فوجدت دعامات مدمجة بالجدران من الداخل، وأخر ادمجت بها من الخارج بهيئة طلعات ودخلات من طور العبيد وما تبعه⁽¹⁵⁾، وخلال التنقيبات التي أجريت في المواقع التي تعود إلى العصر الحجري الحديث في سوريا والعراق، وجدت أساليب متعددة لدعم الجدران والسقف فوجد أعمده من الطوب، وبعضها حجري والآخر خشبي، كي تستند عليها السقف العلوي للدار⁽¹⁶⁾ وقد استندت عليها سقوف كانت على الأرجح مستوية كما في الأعمدة المكتشفة في تل العبيد⁽¹⁷⁾، وتضمنت الأبنية بمدينة آشور من العصر الهلنستي أعمدة في تركيبها المعماري كالمعبد المعمد، وإيوان كبير من العصر الفرثي يحف به عقد يرتكز على عمودين شغل جانبيهما بأعمدة مدمجة. ثم تواصل استخدامها بالحضر فيما بعد التي امتازت ابنيتهما بالارتفاع العالي بسبب استخدام الأعمدة الأسطوانية ذات تيجان الكورنثية⁽¹⁸⁾ (لوحة 1). كما امتازت مساكن بلاد الأناضول قبل الإسلام باستخدام أعمده تحيط بالفناء لأكثر من جانب لتوفر له العزلة والخصوصية⁽¹⁹⁾. ونشأت مع العمارة الأغريقية طرز من الأعمدة والتيجان كانت ذات خصائص متميزة وهي:

- 1- الطراز الدوري يتميز بالبساطة في الشكل والتاج نشأه في منطقة الأراضي الداخلية الأغريقية والمستعمرات جنوب إيطاليا وصقلية ومنه نوعان
- 2- الطراز الأيوني وهو أرفع وأجمل حيث يكون التاج مزركش استعمل في شرق الأغرقيق انتقل إلى اليونان عن طريق آسيا الصغرى في أواسط القرن (٦ ق.م).
- 3- الطراز الكورنثي يتميز بالفخامة وكثرة الزخارف في التاج على شكل أوراق شجر ونباتات أصوله مقتبسه من العمارة المصرية القديمة ثم انتقل إلى الأغرقيق ونشأ في مدينة أثينا في القرن (5 ق.م) واشتق تسميته من مدينة كورنث اليونانية⁽²⁰⁾ (الشكل 1) وفي العصر الإسلامي جاء استخدام الأعمدة على نطاق أقل مما سبق، إذ كانت أيام الرسول (ص) تتخذ من جذوع النخل، كما في المسجد النبوي⁽²¹⁾ وعندما جدد الخليفة عمر بن الخطاب (ص) المسجد أعاد أعمده خشباً، إلا أن الخليفة عثمان بن عفان (ص) جعل أعمده من حجارة منقوشة سنة (٦٤٩/٥٢٩م)⁽²²⁾ إلا أنهم لم يذكروا طبيعة تلك النقوش. وفي غيره من مباني لم يكن للمسلمين طراز أعمدة خاص لاعتمادهم على ما في المباني القديمة، كما اتضح ذلك في بعض الأعمدة المكتشفة من المسجد الجامع في أواسط سنة (703/٥84م) كانت عليها معالم لزخرفه قديمة⁽²³⁾. وكما استخدمت الأعمدة اليونانية والرومانية والبيزنطية المأخوذة من المباني السابقة في عمارة المساجد الأولى لكن سرعان ما اعتمدوا على

اعمدة خاصة بهم، ذات تصاميم نابغة من الفن الاسلامي نفسه، وبذلك تنوعت اشكال الاعمدة الاسلامية ما بين الشكل الدائري والمثلث والمستطيل كما عرفت العمارة الاسلامية الاعمدة ذات الشكل نصف اسطواني او ثلاثة ارباع الدائرة الملتصقة بالجدران للتدعيم حيناً وللزخرفة في اغلب الاحيان الاخرى، وبخاصة عند استخدامها على جانبي الابواب والمداخل وفي اركان قوسرة المحراب(24). وصنع العمود من الحجر او الخشب او الاجر وحتى الرخام ومن جذوع الاشجار، وباختلاف مقاطعه سواء كان اسطواني ام مربع ام مستطيل الشكل مما ادى الى تعدد تسمياته وتجزئته الى اقسام عديدة (25)، وهي القاعدة ثم البدن ثم التاج. ففي العصر الاموي استخدمت اعمدة حجرية ثبتت بقطع الرصاص كما في دار الامارة في جامع الكوفة(26). واستخدمت ذات مقطع دائري في الجامع الاموي بدمشق، حتى اثرت عمارة اعمدة هذا المسجد على العمائر التي بنيت بعده في بلاد الشام وادخلوا فيما بعد الكثير من التحسينات والتطورات على الاعمدة كالنص الكتابي والآيات القرآنية وحتى اسماء الحكام والولاية(27). اي انه اتخذ منحى خاصه لا يسبقه احد غيرهم فلم تزيين الاعمدة لاسيما في العصور السابقة بنصوص كتابيه توثيقية. ونجدها ايضا في عمائر مسجد قصر الاخضر وجامع المتوكلية في سامراء(28). وفي العصر العباسي وسع مسجد الرسول (ع) في عهد المهدي واستخدمت الاعمدة الحجرية التي تتألف من عدة قطع توضع الواحدة فوق الاخرى، ويفرغ فيها الرصاص المذاب الى ان تتصل وتصبح عمودا تكسى بالجص ويبالغ في صقلها ودلكها فتظهر كأنها رخام ابيض(29). وفي سامراء حملت سقوف على بدئات ودعامات بهيئة اكتاف مقطعها مربع او مستطيل، تعد الاقدم من بين الدعائم الاسلامية، ثم انتشرت في عموم العالم الاسلامي وفي العصر العثماني استخدمت الدعائم اكثر من الاعمدة نظرا لضخامة المباني، وما يخص ابنية الموصل فقد كثر فيها استخدام الاعمدة لأغراض انشائية كما في الجامع النوري اذ تميزت اعمدته بالضخامة وهي مزلعه تيجانها مكعبه بقطاعات متعددة. ومن هنا نجد انفسنا امام عمارة حددت بضوابط واسس علميه فهمها المعمار بفكر سليم بعد تجارب وتطبيقات عمليه، فعلم ان البناء كلما كان ضخما تطلب زيادة في مقاطع الجدران العرضية والاعمدة والتيجان لحمله، فتتوزع نتيجة ذلك القوى والضغط الناتجة عنها على مساحة اكبر لتبقى الاجهادات ضمن قيم امه(30). من خلال هذا الارث العماري والحضاري عمد المعمار الى الجمع بين هذا العنصر من الوظيفة الانشائية والجمالية في آن واحد وصهرها ليشكل بهذا العنصر الاساس في الدار الموصلية، خصوصا والشامي بشكل عام، كما استخدم العديد من انواع الاعمدة كالمربع في دار مصطفى التتنجي والمثلث في دار نعمان الدباغ(31) (لوحة 2 و3) في الموصل، ودار حاج اسماعيل حجازي في بلاد الشام، ودعامات ضخمة حمله عقود منبطحه كبيرة الحجم كسرداب دار امين بك الجليلي ويعمد في بعض الاحيان الى ان يلصقها في الجدار لتكون جانبيه كي تزداد مساحة السرداب ويوفر له حجم ومساحة كبيره لتكون جزءاً من الجدران الحاملة للسقف وفي ماردين استعمل المعمار بها الاعمدة الاسطوانية المعمولة من الحجر الكلسي(32). ان التطورات والتغيرات التي حصلت في البلاد وبخاصة في الفترة العثمانية التي ساعدت في ظهور عناصر فنيه وعمارية مهمه الا انها لم تغير من جوهرها منها الخشب الذي استخدم بكثافه وكذلك كثر استخدام العمود وتعددت اشكاله وانواعه ومواد بنائه(33). كما وعرف في هذا العصر نوعان من طرز الاعمدة وهي الاعمدة التي تمتاز في ابدانها بتضليع حلزوني والاعمدة المقسمة بتجويف رأسي او على هيئة معينات واما التيجان فتعتبر من اجزاء العمود وهي القطعة التي تعلوه وقد استعملها المسلمون في الابنية التي بنوها في العهد الاول لحكمهم، ما وجدوا من اعمده في البلاد المفتوحة مع تيجانها او منفصله عنها.

فأخذت كما هي من غير تعديل وادخلت في صميم البناء. ويتكامل عناصر الحضارة الجديدة اخذ شكل تاج العمود ببتعد شيئا فشيئا عن النماذج الجاهزة الاولى. ولم يعد مقبولا الاسلوب الروماني او البيزنطي او الساساني في العمارة الاندلسية او الطولونية او المملوكية او العثمانية. وبدا التغيير في الشكل والزخرفة وحتى في المادة، اتخذ العمود في القرن الرابع للهجرة في العمارة الاسلامية تاجاً خاصاً اسلامي الانتماء وراح يتطور ويتلون ويتنوع ضمن الخط المرسوم له. وادخلت عليه النقوش الجميلة والرائعة والممزوجة احيانا بالخط العربي الجميل بأنواعه المختلفة، والكوفي منه بشكل خاص، لتسجيل اسم الخليفة او الامير او البناء او التاريخ(34). ومن ملحقات التاج الطنفة (الطنف، الطنّف، الطنّف، الطنّف)، وهي حلي عمارية تدور افقياً حول بدن العمود، جمع طنوف واطناف ويطلق عليها (الكثة) ايضا، وهي جمع كُنات وتعني السدة اي (افريز). والقرمة افريز بارز من الخشب، اذا كان العمود معمولا من الخشب، او وسادة اذا كان العمود من الرخام، وهذه الوسادة تعلق التاج، قاعدتها تأخذ شكل السطح العلوي للعمود، اما ان تكون مربعة او دائرية الشكل تبعاً لشكل التاج، ويكون سطح القرمة العلوي مسطح مستو لوضع الحدارة عليه، ويطلق على القرمة لفظ طبلية تاج العمود. والحدارات كتل من الحجارة مكعبة او هرمية الشكل تعلو تيجان الاعمدة تستند عليها العقود ويطلع عليها ناصية التاج وتعلو الحدارة طنفة وتدونها قرمه (35).

انواع الاعمدة المستخدمة في نماذج الدراسة

تمثل الاعمدة الموصلية والأبنية التراثية عموماً في تخطيطها وعمارته وزخرفتها استجابة انسانية واعية للحاجات الحياتية اليومية في بيئته محدودة. ومن هنا كان الاختلاف في مخططات الابنية وعمارته والأسلوب الفني في تنفيذ الزخارف، في اقليم معين او اقاليم مختلفة رغم تشابه وظيفتها، ولهذا اتخذت العمارة العربية الاسلامية اشكالا متعددة من الاعمدة والتيجان انطلاقاً من هذا المبدأ. وميزة الفن العربي الاسلامي انه يميل دائماً وابدأ الى التطور والابتكار مع التأكيد على الارتباط بجذوره الاولى وتواصله الحضاري على الرغم من عودته الى نفس التاريخ من تلك الاعمدة والتيجان المستخدمة في الكثير من العمارات العربية الاسلامية وخلال فترات زمنية مختلفة(36). تنقسم الاعمدة الى عدة انواع، منها

1- الاعمدة المندمجة

ان اصطلاح الاعمدة المندمجة يطلق على الاعمدة غير الحرة ذات المقطع النصف دائري او المربع او ثلاثة ارباع الدائرة او نصف مضلع ملتصق بالجدار مباشرة . وكان استخدامها لتدعيم البناء واسناد العقود المرتكزة عليها وايضا لما تضيفه من ناحية جمالية، وقد يعلوه تاج متمم ومزين له وهو يشكل الحالة الانتقالية من العامود الى الطاق او الجسر الذي يعلوه. وقد ظهر في العمارة العراقية القديمة ، حيث تزين بعض المعابد والعائدة لعصر الوركاء ، وكذلك فقد كشفت التنقيبات الاثرية في مواقع متعددة من هذا العنصر العماري منها على سبيل المثال تلك التي اجرية في موقع تل الرماح والذي يرتقي الى حدود الالف الثاني قبل الميلاد، حيث عثر على نماذج من الك الاعمدة تزين واجهات احد المعابد. واستمر ذلك التواصل الحضاري الى العمارة السابقة للإسلام والمتمثلة بالحضر اذ وجدت انصاف اعمدة اسطوانية مشيدة بالحجارة المهندمة تحف بالاووين الكبرى في هذه المدينة والتي ترقى بزمناها الى النصف الثاني من القرن الاول الميلادي (37). وقد استعان المعمار العربي المسلم بهذا النوع من الاعمدة في تزيين مبانيه حيث تمثلت في مباني العصر الاموي كما في

دار الامارة في الكوفة وقصر الشعبية والاسكاف وبني جنيد في العراق. وزاد استخدام مثل هذه الاعمدة في العصر العباسي كما هو الحال في قصر الاخضر في الواجهات الداخلية المطلّة على الرحبة الكبرى، وكذلك وجدت في عمائر مدينة سامراء. واستخدمت في واجهات دور الموصل العائدة للفترة العثمانية نجد هذا النوع من الاعمدة يزين جانبي بعض المداخل الخارجية لتلك الدور وبوضعيتين الاولى مفردة والتي تعني وجود عمود نصف اسطواني مندمج واحد على كلا الجانبي المدخل، كما هو الحال في المدخل الخارجي لدار كمال سليمان فتوحي، اما الوضعية الثانية فهي ازدواجية تلك الاعمدة، اي وجود زوج من الاعمدة النصف اسطوانية على كل جانب من المدخل والذي نجده متمثلا في احد مداخل الدور في القطاع ٦٠ الدار رقم 65 في المنطقة القديمة على حسب ما ذكر لنا من منظمة اليونسكو اثناء الرحلة الميدانية (لوحة 4) والتي وظفت لتؤدي وظيفه جمالية تزيينية. وخلال الزيارة الميدانية وجدنا في احد الدور اعمدة مندمجة بشكل ثنائي الشكل ذات قطاعات مربعة احد الاعمدة مطل على الممر الخالي من الغزف والاخر مطل على الممر المنكسر الذي يؤدي الى غرف الساكنين وينزل الى هذ الممر بدرج حيث تعمل هذه الاعمدة على تخفيف الحمل على البناء وتوزيع العقود عليها بشكل منتظم افضل من ما يستخدم عمود واحد فقط كما في اعمدة دار الطوالب (لوح 5 و6). وفي خارج الدار (الواجهات المطلّة على الازقة) استخدمت اعمده مندمجة زواياها غير حاده ملساء وذلك لأنها معرضه للاحتكاك بين المارين بجانبه سواء من الاطفال والكبار. وكما هناك اعمدة ركنيه مندمجة في احد غرف الدور وعليها عقود ثنائيه وثلاثية تتركز على التاج والعمود (لوحة 7 و8) واحدا عمدة غرف دار الطوالب يرجح بأن هذا العمود جزء من الفناء ولكن لضيق الدار والتوسعة ادخل جزء من ممر الفناء والعمود وبني جدار فأصبحت غرفه تحتوي على هذه العمود الركني كما في (لوحة 9) (38).

2- العمود ذو المقطع المربع

هو شكل بأربعة اضلاع، يتلاقى كل ضلعين متجاورين منها في نقطة تسمى بالراس، والمربع له اربع اضلاع متساوية واربع زوايا متساوية ايضا. وقد وجدت الاعمدة المربعة في العمارة المصرية القديمة، وكانت اعمدة قوية غير مزخرفة وذات اشكال ضخمة استهدفت للتعبير على ما يبدو عن قوة الاسرة وعظمتها. وقد عملت هذه الاعمدة من حجر الجرانيت الصلب بأبعاد تراوحت نسبها بين (1-4)، واكتفى العمار فيها بالتأثيرات الناتجة عن لون الجرانيت المستخدم في صناعتها، واستمر استخدام الاعمدة المربعة بغير انقطاع في عمائر العصور القديمة اللاحقة، واضيفت اليها بعض النقوش والزخارف، اما في العصر الاسلامي فلم يكن لهذا العمود المربع دور يذكر لأنه لم يستخدم فيها بصفة العمود وانما استخدم بصفة الدعامة. واما في الموصل فقد وجدنا اعمدة في ممرات الدور قد نحتت زواياها الحاده كما في اعمدة بيت الطوالب وذلك لخطورة زوايا هذه الاعمدة على ساكني البيت وعلى الاطفال (لوحة 10)، وقاعدة العمود تأخذ مقطعا مربعا، أما بدنه فتكون بهيئة متوازي المستطيلات(39). وكذلك نحتت زواياه لتحقيق التوافق بين مقطعه، ومقطع تاجه (لوحة 11).

3- الاعمدة المثمنة

العمود المثمن هو احد اهم الاشكال التي عرفتها العمارة الاسلامية. وقد حليت ابدان هذه الاعمدة احيانا بزخارف نباتية، او حزوز محفورة في الرخام او الحجر كما في مدرسة السلطان في القاهرة حسن (757-764هـ) وغيرها، وقد غلب استخدام هذا النوع من الاعمدة في جوانب النوافذ واركاب الابنية والبيوت(40). ولقد شاع

استخدام العمود المثمن بالعمارة القديمة وبعض المساجد بالقاهرة، ولقد عرف الايرانيون الاعمدة الخشبية المذهبة والبدن المضلع المزين بمرايا على هيئة معينات(41) واستخدم هذا النوع بكثرة في الموصل خصوصا في المساجد والسراريب وكانت قصيرة نوعا ما وتحمل فوقها اكثر من عقد كما في سرداب دار مصطفى التنتجي (لوحة 3). اما بالنسبة لتيجان اغلب الاعمدة خصوصا في البيوت السكنية كانت بسيطة تتألف من عدة حطات قد تكون ثلاثة او اربع وتتخذ في الغالب المقطع نفسه الذي شكل عليه العمود تتقدم التاج حلقة بارزة ثم مقطع مربع على نفس استقامة العمود ومن ثم التاج الذي يكون بارز عن العمود (لوحة 5 و6 و7) حيث يبدأ بصورة بسيطة قليلة البروز ثم تعلوه قطعة اخرى من الحجارة نحتت بشكل اكثر بروزاً ثم قطعة اخرى اكثر بروزاً كما ووجدت بعض التيجان ذات زخارف نباتية تمثلت باوراق نباتية متعددة الفصوص تعلوها حطات ذات زخارف مربعة مسننة (لوحة 2).

المواد البنائية

كثيرا ما تميز القيم الجمالية في استخدامات وتوظيفات مواد البناء المتوافرة في الطبيعة، لإقامة وتشبيد المباني، متنوعه ومتفردة باستخدام عناصر الجمال الحقيقية وهي الدقة، التناسق، والبساطة، ومن خلال التجميل بالعناصر والحليات العمارية، في زينة وزخرفة هذه الاعمدة لإعطائها الجمال الذي سعى اليه المعمار القديم كعنصر جمالي مهم في عمارته(42). ومن مواد البناء التي كثيرا ما اعتمدها المعمار الموصل في تشبيد الاعمدة

الرخام

تعد مدينة الموصل من اغنى محافظات العراق في وجود هذه المادة ولا يكاد مبنى فيها كان صغيرا او كبيرا ومهما كانت وظيفته يخلوا من وجوده استخدامه خاصة في اقامة الاعمدة التي كانت تستخدم في اماكن مختلفة من المبنى وتتفاوت نسبة الاستخدام حسب قربها وبعدها عن المقالع. وعلى الرغم من بُعد بغداد والمحافظات الجنوبية والوسطى عن مقالع الرخام الا اننا نلاحظ وجود الاعمدة الرخامية في عدد من المباني الا ان استخدامها كان محدودا حيث اقتصر على بيوت التجار والموسرين واصحاب الشأن في العراق(43). وللرخام تسميات عرف بها منها المرمر اصلها من بحيرة مرمر، وهو حجر يلعب كان الرومان يستخدمونه في صناعة التماثيل يتميز بكونه اشد صفاء وصلابة. و الثاني الفرش: تسمية محلية اطلقها اهالي مدينة الموصل على نوع من الرخام الابيض والذي تعترضه خطوط ذات زرقه خفيفة او سمرة والواضح انها مشتقة من الفعل (فرش). فيقال فرش فلان داره اي بلطها، وكان الفرش على انواع منه الفرش العادي، وفيه تفرش الارض بالواح الرخام بأطوالها كيفما كانت وهو ارحص انواع الفرش، والفرش المربع وفيه تقطع قطع الرخام الابيض مربعات مختلفة الابعاد بحسب الطلب ويفرش بها. والفرش المقفل ويكون بمربع من الرخام الابيض والرخام الازرق منتاليات. ومدينة الموصل عرفت هذا النوع من الفرش منذ النصف الاول من القرن (2/8م). وثالثهما عرف باسم الدمك، وهو طبقة عليا من الفرش تم تبريده بسرعة مما جعل تبلوره غير منتظم يظهر بعد رفع التراب عنه، يمتاز بكونه نوعا رديئا من الرخام لكثرة فجواته لكونه قريب من التأثيرات والعوامل الطبيعية فلا يصلح للنواحي العمارية. والرخام بصورة عامه يتكون من (كاربونات الكالسيوم) وقد يدخل احيانا عنصر المغنيسيوم في تركيب الكاربونات مما ينتج كاربونات الكالسيوم والمغنيسيوم المزدوجة. وكان لوجود بعض المواد سبب

في اختلاف الوانه فوجود الليمونيت يعطي اللون الاصفر ووجود اكسيد الحديد يعطي اللون الاحمر ووجود البيومينيت يعطي اللون الاسود والرمادي(44).

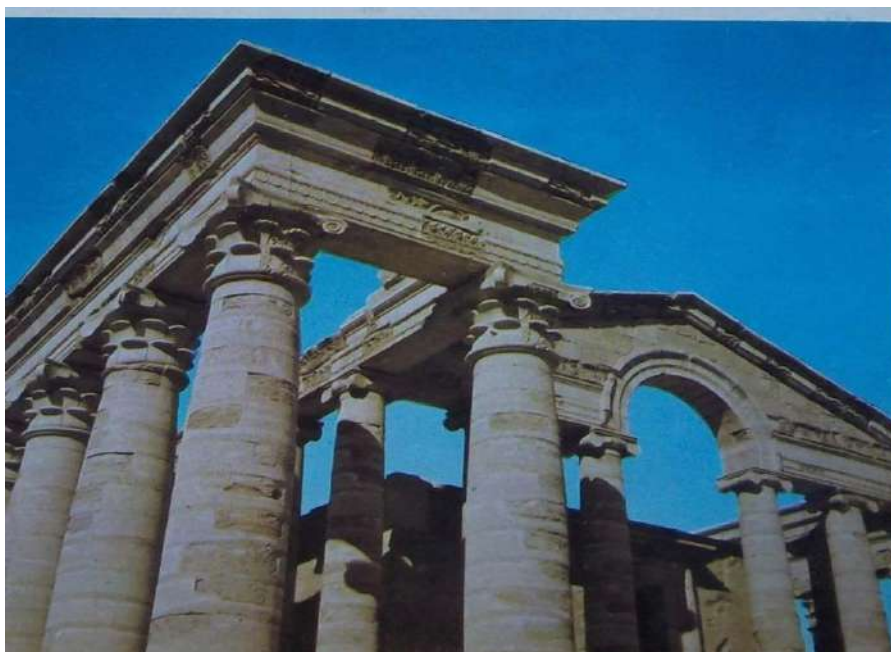
الاستنتاجات

1. ان الأعمدة والتيجان هما موروث عماري اصيل اعتمده المعمار الموصلي بشكل اساسي في تخطيط مبانيه ولم يقتصر استخدامه على المباني السكنية فحسب بل تعداها ليشمل المباني الدينية والتعليمية والخدمية كما معظم بيوت الموصل لم يقتصر استخدامها على عامود واحد بل تعددت الأعمدة لتصل في الدور الفخمة الى العشرات منها كما في بيت الطوالب كما وتنوعت اشكال الأعمدة حسب مقتضيات الحاجة لها في المبنى .

2. استخدام الرخام بشكل اساسي في بناء الأعمدة وهذه المادة تحتاج بشكل كبير الى استدامة وتجديد بصورة مستمرة وبشكل علمي مدروس خصوصاً في الاماكن الخارجية المعرضة للتغيرات المناخية فضلاً عن ما مرت به مدينة الموصل من تدمير جراء العمليات العسكرية اثناء سيطرة المجاميع المسلحة مما ادى الى تدمير البعض منها وتصدع البعض الآخر .

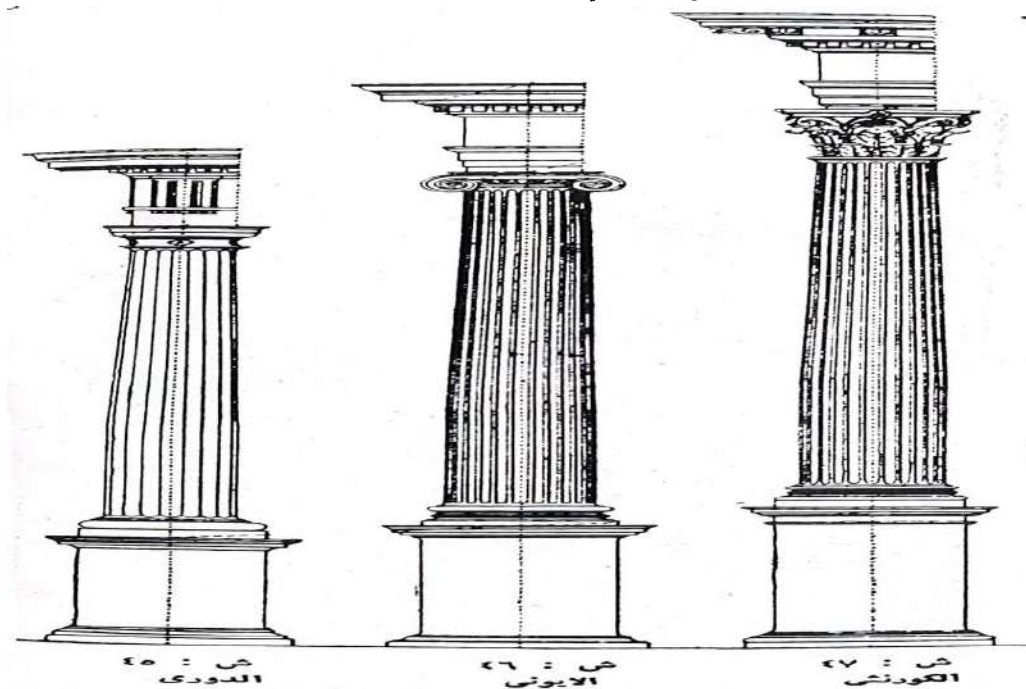
الخاتمة

ان هذه الدراسة ماهي الا دراسة مختصرة لموضوع الأعمدة وتيجانها في بيوت مدينة الموصل خلال العصر العثماني والذي يعد من المواضيع المهمة التي تبرز انواع الأعمدة التي كانت منتشرة في بيوت المدينة في تلك الفترة ، خصوصاً بعدما تعرضت له مدينة الموصل من تخريب ودمار ادى الى ضياع معالم اغلب ابنياتها فكان لا بد من التوثيق لبعض انواع العناصر العمارية المستخدمة في ابنياتها ومنها الأعمدة وتيجانها والتي استخدمت بكثرة في بيوتها وتعددت انواعها من الاسطوانية والمربعة والمثمنة بحسب وظيفتها الانشائية سواء اكانت عمارية او تزيينية ، واستخدمت مادة الرخام في بنائها لوفرة هذه المادة في المدينة ومقاومتها الجيدة للعوامل البيئية .

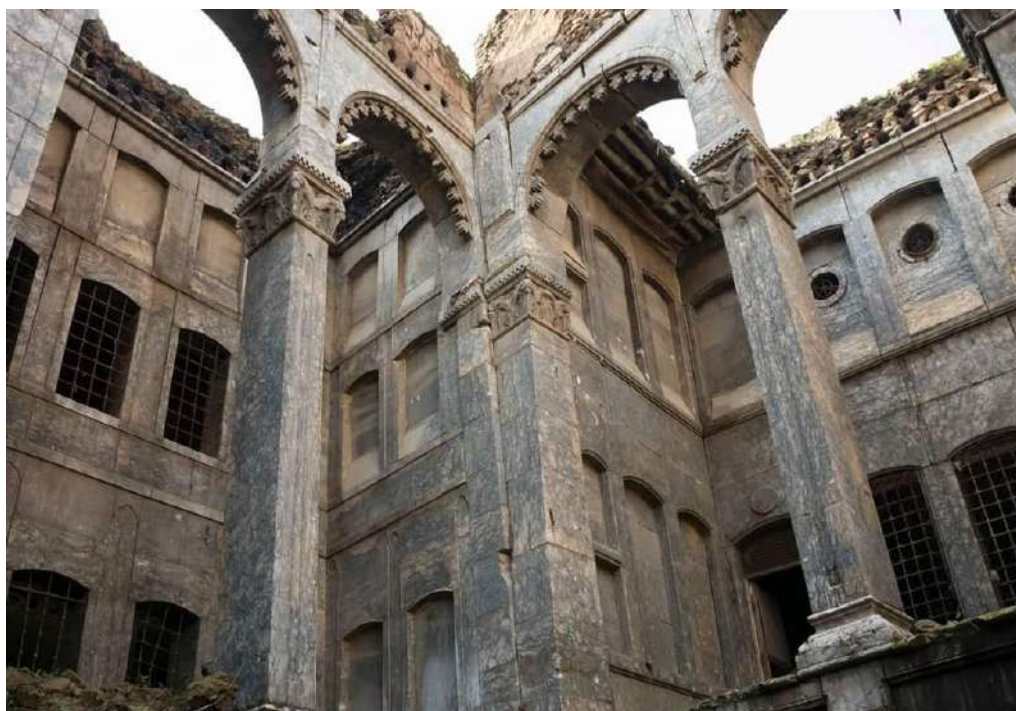


لوحة (1) اعمدة من مدينة الحضر ذات تيجان كورنثيه

نقلًا: سفر، فواد ومصطفى، محمد علي: الحضر مدينة الشمس، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1974، ص6



الشكل (1) اعمدة من الطراز الكورنثي والايوني والدوري
نقلًا عن: شافعي، فريد: العمارة العربية في مصر الإسلامية (عصر الولاة)، مج1، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، 1970م، ص110



لوحة (2) الاعمدة ذات المقطع المربع/ دار نعمان الدباغ



لوحة (3) اعمدة ذات مقطع مثنى/ سرداب دار مصطفى التتجي
تصوير الباحثة



لوحة (4) اعمدة مزدوجة على جانبي المدخل في الدار 65
تصوير الباحثة



لوحة (5) بيت الطوالب / اعمدة مندمجة بشكل ثاني
تصوير الباحثة



لوحة (6) بيت الطوالب / احد الاعمدة مندمجة المظلة على الفناء في الطابق الثاني
تصوير الباحثة



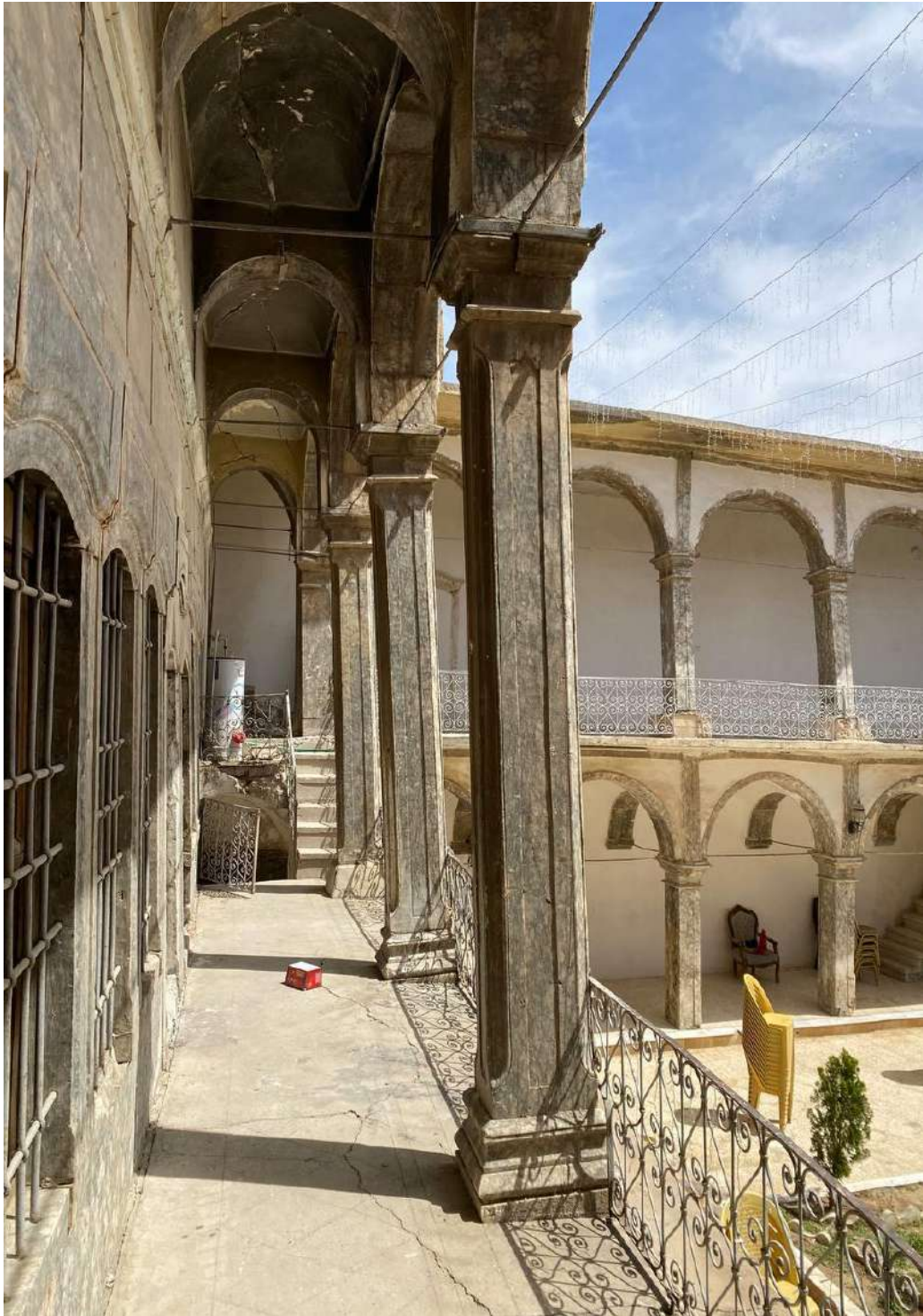
لوحة (7) بيت الطوالب/ عمود مندمج ركني عند مدخل احد الغرف
تصوير الباحثة



لوحة (8) بيت الطوالب/اعمدة ركنيه ذات عقود ثنائيه في احد غرف البيت
تصوير الباحثة



لوحة (9) بيت الطوالب / اعمدة ركنيه ذات عقود ثلاثية في احد الغرف
تصوير الباحثة



لوحة (10) بيت الطوالب/ الاعمدة المربعة في الطابق الثاني المطل على الغرف
تصوير الباحثة



لوحة (11) بيت الطوالب/ الاعمدة المربعة بين الممرات
تصوير الباحثة

الهوامش

- (1) القرآن الكريم ، سورة الرعد، الآية 2 .
- (2) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، مج2، دار الفكر، بيروت، 1966، 3864؛ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين : لسان العرب، دار المعارف ج 3، 2016 ، ص 303.
- (3) ابن منظور، لسان العرب ، ص 304. ؛ الزبيدي، تاج العروس، ص321.
- (4) يونس، نجات، العمود في العمارة الاسلامية، مجلة سومر، مج45، ج3، 1988، ص208.
- (5) ابن زكريا، ابو الحسن احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 4، القاهرة، 1413 هـ، ص 137.
- (6) القرآن الكريم ، سورة الفجر، الآية 7.
- (7) حلمي، هـ شام عبد ال ستار، روافع ال سقوف والاعمدة والاكتاف، اطروحة دكتوراه (غير مذ شورة)، جامعة بغداد، 1990، ص5-6.
- (8) غالب، عبد الرحيم، موسوعة العمارة الاسلامية، المطبعة العربية، بيروت، 1988م، ص293.
- (9) ابن منظور، لسان العرب، ص 73.
- (10) غالب، موسوعة العمارة الاسلامية، ص96-97.
- (11) رزق، عا صم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، مكتبة مدبولي، الطبعة الاولى، 2000، ص 43-44.
- (12) المنمي، ثاري خليل كامل، اهم العناصر العمارية في ابناء العراق القديم، رسالة ماجستير (غير منشوره) جامعة الموصل، كلية الآداب، الموصل، 2005، ص99-100.
- (13) محمد، هيثم قاسم، الحلول الانشائية في مباني الموصل خلال العصور الاسلامية، اطروحة دكتوراه، (غير منشورة)، جامعة الموصل، 2012، ص 62-66.
- (14) العيو، محمد خضر محمود: العمارة السكنية في مدينة الموصل خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر في العهد العثماني، اطروحة دكتوراه، (غير منشورة)، جامعة الموصل، 2015، ص119.
- (15) ذكي، شيرين محمود: انماط الاعمدة عبر العصور المختلفة، بحث دبلوم تاريخ الفن، كلية الاثار، جامعة القاهرة، 2013، ص3.
- (16) العتابي، مهدي صالح فرج، العمود في العمارة الاسلامية (دراسة تحليلية للأبعاد والمضامين) مجلة القادسية للعلوم الهندسية، مج7، ع2، 2014، ص55.
- (17) المنمي، اهم العناصر العمارية ، ص 102.
- (18) الشمس، ماجد عبد الله: الحضر: العاصمة العربية، بغداد، 1988، ص191.
- (19) يونس، المنازل الرومانية، دار الكتب والوثائق العراقية، بغداد، 2003، ص302.
- (20) وزيري يحيى ، موسوعة عناصر العمارة الاسلامية، ج 2، مكتبة مدبولي، مصر، 1999، ص49.
- (21) ثويني، علي، معجم عمارة الشعوب الاسلامية، بيت الحكمة بغداد، 2005، ص512-513.
- (22) فكري، احمد، مساجد القاهرة ومدارسها (المداخل)، القاهرة، 1961، ص199.
- (23) فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ص 214-213.

- (24) وزيري، موسوعة عناصر العمارة الاسلامية ، ص50.
- (25) العبو، العمارة السكنية في الموصل، ص166.
- (26) الذنون، عبد الحكيم :تاريخ الشام القديم، دار الشام القديمة للطباعة والنشر،دمشق،1990، ص 58.
- (27) ثويني، معجم عمارة الشعوب، ص132.
- (28) حلمي، روافع السقوف ،ص5-6.
- (29) الدراجي، حميد محمد د سن، الاعمدة والتيجان في العمارة التراثية، دار المرتضى، بغداد، 2007، ص10.
- (30) محمد، الحلول الانشائية، ص66.
- (31) العبو، العمارة السكنية في الموصل ،ص119.
- (32) الدراجي، الاعمدة والتيجان ،ص11.
- (33) غالب، موسوعة العمارة، ص 95 .
- (34) حلمي، روافع السقوف ، ص 14-15.
- (35) الدراجي، الاعمدة والتيجان ، ص20-21.
- (36) المعاضيدي، عادل عارف فتحي، الواجهات الفنية والعمارية للدور التراثية في الموصل، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة بغداد، 2002، ص 130.
- (37) المعاضيدي، الواجهات الفنية ، ص 131.
- (38) المعاضيدي، الواجهات الفنية ، ص 132.
- (39) رزق، معجم مصطلحات العمارة، ص207
- (40) رزق ،معجم مصطلحات العمارة ، ص 207.
- (41) islamicarchaeology.blogspot.com.
- (42) النعيمي، فيان موفق رشيد محمد، معالجة المشكلات البيئية لعماير الموصل خلال العصور الاسلامية، الناشر المكتب العربي للمعارف، القاهرة، 2015، ص212 .
- (43) المعاضيدي، الواجهات الفنية ،ص 128-129.
- (44) المولى و سن عبد المطلب د سن، منابر جوامع الموصل العثمانية حتى اواخر حكم الجليلين، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، جامعة الموصل، 2008، ص69.